الصُّهيُونيَّةُ المُستَترَةُ بـ"الوَاقِعيَّة السّيَاسِيَّة" فِي الخِطَابِ الإعلَامِي العَرَبِيّ
(نُمُوذَج حَربِ "طُوفَان الأَقصَى")

■ د. أسماء عبد العزيز[1]

ملخّص

تتمحور هـذه الورقة حول بناءِ تصوّرٍ معرفيٍّ يبحث في تجليات «الواقعيّة السياسـيّة»، باعتبارها حضـورًا كثيفًا في الصراع الإمبريالي المعاصر ضد بلدان «الجنوب العالمي The Global South" بوجه عام، ومنطقة غرب آسـيا «الشرق الأوسـط» على وجه الخصوص. حيث لم تكن الحرب على غـزة أو جنوب لبنان سـوى إحدى حلقات حرب ممتدة حملت في كل مرةٍ أيديولوجيا اسـتعمارية بهدف تأسيس إمبراطورية غربية أو استنزاف الموارد أو السيطرة على مقدرات شعوب المنطقة، وفي تلك الحرب التي تجاوزت حدود المنطق والمعقول في ظل عجز دولي ومؤسَّساتي وسقوط أخلاقي وإنساني؛ تتجلي مقولات فلسـفية كبرى ترتبط بعلم السياسية. وتحتل «الواقعيّة السياسيّة» الصدارة في هـذ المقـولات، لخلق تصـورٍ بديل يبرر عمليات القتـل والدمار التي تداولتها وسـائل الإعلام المحلية والعالمية بصورة مختلفة. ترصد هذه الرؤية أسـس وملامح المشروع الاسـتعماري الغربي المعاصر على الصعيدين النظري والتطبيقي لأجل كشـف آليات التلاعب في الخطاب والممارسـة على حد سـواء، والدور الذي تقوم به مؤسسـات إعلامية عربية وغربية في توطين فلسـفة «الواقعيّة السياسـيّة» بوصفهـا إطارًا أيديولوجيًّا يؤطر لرؤية معرفية جديدة مفادهـا أنَّ منطقَ القوة كافٍ لإدارة العلاقـات الدولية. كما نلقي الضوء عـلى تطبيقاتها في السردية الإعلاميـة والثقافية العربيّة وبعض السرديّات الغربيّة في الخطابات والتوجهات التي تدعم الأهداف الصهيونيّة.

الكلمات المفتاحية: «الواقعيّة السياسيّة»، طوفان الأقصى، الصهيونيّة المستترة، الواقعية الجديدة، الإعلام الغربي، الإعلام العربي، النخب العربية.

1 - باحثةٌ ومترجمةٌ في العلوم الإنسانية، حاصلة على شهادة الدكتوراه في الآداب جامعة سوهاج، جمهورية مصر العربية.

مقدمة

تذهب نظرية «الواقعيّة السياسيّة» إلى أنَّ الأخلاق ليس لها مكان في النظرية السياسية، وتقترح بدلاً من ذلك تأسيس دلالات معيارية لا يمكن اختزالها إلى مبادئ أخلاقية، بمعنى آخر: «المعيارية السياسية» أكثر إيجابية وأنفع من المعيارية الأخلاقية. وهذا هو الأساس التحليلي في نقد أنصارها لـ «النظرية السياسية الأخلاقية»، لأنَّ الأخلاقيين يَختزلون المشكلات السياسية في مجردِ كونها مسألة أخلاقية شخصية فحسب.

الإشكالية في هذا الطرح، هي أنَّ الاعتبارات المعيارية في السياسة سواء كانت المصلحة الذاتية أو القوة أو السيطرة عن طريق الدولة تدعو إلى تجاوز التفكير الأخلاقي بشكل عام؛ فالأخلاق نسبيةٌ وليست مطلقةً، ذاتيةٌ وليست موضوعيةً. تأتي هذه الورقة مُسائِلةً هذا الطرح الذي نشأ على الأقل مع (بروتاغوراس السفسطائي - Protagoras)، ثم تطور على يد (نيتشه - Nietzsche)، وصولاً إلى التنظير له في عدة من مراكز الأبحاث الأمريكية والغربية. بل سنجد تلك الرؤية حاضرة بكثافة في وسائل الإعلام الغربية والعربية، خاصةً في المنعطفات الكبرى التي تمر بها الأمة العربية والإسلامية.

لقد استهدف الفلاسفة والمفكرون من تأسيس فلسفة الأخلاق بناء المشروع الإنساني، في تمظهراته الفردية أو الجماعية، على اعتبار أنَّ الأخلاقَ: هي قواعدُ السلوك في ثقافة أو مجموعة معينة يَعترف بها مصدرٌ خارجيٌّ أو نظامٌ اجتماعي ما، كما ورد في «معجم أكسفورد». وبالتالي يُمثل التماهي مع الأخلاق نوعًا من القفز في قلب النَّزعة الإنسانيَّة بشكل عام.

وأحسب أنَّ الفلسفة الأوربية منذ نظرية الأخلاق عند (أفلاطون) ونظرية السياسة عند (أرسطو - Aristotle)، مرورًا بمئات الفلاسفة والمفكرين المعاصرين، حاولوا قدر المستطاع بناء منظومة أخلاقية استطاع (كانط - Kant) أن يبلورها في أكثر من كتاب أصدره في هذا الصدد، إدراكًا منه،

بل من معظم فلاسفة أوروبا، أنَّ المسار الحضاري الأوروبي، وخاصة في القرون الأخيرة، ينزع باتجاه التطـرف تجاه الآخر. حيث اتخذ هذا العداء صورًا متعددة كالاحتلال واسـتنزاف موارد البلدان المحتلة، بل وتغيير الجغرافيا السياسية والثقافية بما يعزز به «المركزية الأوروبية».

ولعـل المحنةَ الكبرى التي تمـر بها الأمة العربية والإسـلامية اليوم هـي واحدة من أصعب مراحل العلاقة بين الأنا والآخر، المقاومة والإمبريالية، الأخلاق والرغبة في السيطرة...إلخ. محنة عايشـناها على الهواء مباشرة، ورأينا بأعيننا كيف تسـهم وسائلُ إعلامٍ تنطق بلسان عربي وقلب إمبريالي في تزييف الوعي العربي والإسلامي لتجعله مهيأً لقبول نظريةً «الواقعيّة السياسيّة» بكل ما تحمل من مخاطر على الأمة.

وفي هذه الورقة، سـنحاول تأصيل الأفكار الأساسـية الحاكمة لنظرية «الواقعيّة السياسـيّة» باعتبارهـا إطارًا نظريًا مُوجَهًّا للممارسـة العملية، تمهيدًا للانتقال إلى قراءة المشـهد الإعلامي العربي والغربي في تناوله لمعركة طوفان الأقصى.

أَوَّلًا: الإِطَارُ النَّظَرِيُّ: المُنطَلَقَاتُ الفَلسَفِيَّة لِنَظَرِيَّةِ «الوَاقِعِيَّة السّيَاسِيَّة»

١ - الوَاقِعِيَّةُ السّيَاسِيَّةُ الكِلَاسِيكِيَّةُ

يُمثل «سؤال القوة The Question of Power» أحدَ أهم المرتكزات التي تقوم عليها السياسة الدولية، حيث انشـغل فلاسفة السياسة والتاريخ الحضاري بدراسـتها باعتبارها منطلقًا تفسيريًّا لنشـأة واضمحلال الأمم. إذ تحدث (نيكولو مكيافيلـلي - Niccolo Machiavelli)، في أواخر عصر النهضة، عن الدور الذي يجب أن يقوم به الأمير للحفاظ على السلطة باستخدام القوة مع إغفال المبدأ الأخلاقي إذا شـكل عائقًا في طريق السـلطة، حيث كان تفكيره مرتكزاً حول فكرة الـضرورة بدلاً من التفكير وفق مصطلحات الصواب والخطأ. ولهذا السـبب كان بإمكانه تبرير التصرفات غير الأخلاقية، مثل جرائم القتل، باعتبارها ضرورة في صراع السلطة[1].

كذلك ينطلق (هوبز - Hobbes) أيضا في نظرته للواقعية السياسية من الحالة الطبيعية للإنسان الـذي يميل دومًا إلى الصراع مع أقرانه مدفوعًا بالبحث عن المنفعة، أو دفاعًا عن أمنه، أو طمعًا

1 - Christian Langer: "The political realism of the Egyptian elite: a comparison between the Teaching for Merikare and Niccolò Machiavelli's Il Principe." Journal of Egyptian History 8, p50.

في المجد؛ وترتبط هذه الحالة الطبيعية، في مذهب هوبز، بغياب السلطة المنظَّمَة[1].

ونظـرًا لأنَّ (هيجل - Hegel) يعتبر الدولة فكرةً مقدسـةً ولها شـخصيتها الاعتبارية، يري أنَّ قوتها مطلقةٌ وشاملةٌ ولا ينسحب عليها القانون، ولذا فهي تتجلى وتترفع عن أي مساءلة أخلاقية، لكونهـا ذاتًا تعلو فوق كل الاعتبارات الخُلُقيـة[2]، أي أن يضحي الفرد بقيمهِ الأخلاقية من أجل مصلحة الدولة.

وبناءً عليه، تربط «الواقعيّة السياسـيّة» بين المصلحة والسلطة، مما ينتج عنه انحسار الفلسفة الأخلاقية في العلاقات الدولية، انطلاقًا من تفسـيرٍ مفاده أنَّ الإنسـان تتحكم فيه الرغبة والقوة، وأنَّ المصلحة الذاتية هي التي تقودُ السياسة العالمية.

٢ - الوَاقِعيَّةُ السّيَاسِيَّةُ الجَدِيدَةُ

في أعقـاب الحرب العالمية الثانية، لاحت فرصةٌ لتهيئة مُناخ مسـاعدٍ لنمـو أفكار «الواقعيّة السياسيّة»، وظهور تصوراتٍ جديدة لمفكرين -خاصةً في الولايات المتحدة- نازحين من بلدان أوروبية ومتأثرين إلى حد كبير بأحداث الحرب ونتائجها على الإنسـان الأوروبي في نقد واضح لتلـك الرؤي «المثاليـة واليوتوبية» التي حكمت النظرية السياسـية في النصف الأول من القرن العشرين -التي تبناها (وودرو ويلسـون - Woodrow Wilson) وغـيره- حاجَّ هؤلاء الواقعيون بأنَّ سـعي المثاليين لإيجاد علاج لمرض الحرب أدى إلى تجاهلهـم لدور القوة، والمبالغة في تقديـر الدرجة التي تشـارك فيها الدول مجموعة من المصالح المشـتركة، والتفاؤل المفرط من جهة إمكان العثور على حلول عقلانية تمهد الطريق لحل النزاعات سلميًا. وأكد اندلاع الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩، على الأقل بالنسـبة للواقعيين، عدم كفاية نهج المثاليين لدراسة السياسـة الدولية[3]. ومنذ ذلك الحين بدأ هناك ميل داخل الأدبيات «الواقعيّة السياسـيّة» لدمج فكرتي الدولة المهيمنة Hegemon والقوة في نسـيج العلاقـات الدولية، وكان أبرز منظري هذا

١ - علي زياد العلي: المرتكزات النظرية في السياسة الدولية، ص.ص. ٢٠١-٢٠٢.

2 - John C. Garnett: Commonsense and the theory of international politics, p123.

3 - John Baylis; Steve Smith; and Patricia Owens, eds.: The globalization of world politics: An introduction to international relations. p160.

الاتجاه (جون ميرشيمر - John Mearsheimer)، الذي عرَّف الدولة المهيمنة بأنَّها «الدولة القوية إلى الحد الذي يمكِّنها من التَسيُّد على جميع الدول الأخرى في النظام العالمي، ولا توجد دولة أخرى لديها القدرة العسكرية للتصدى لها كما يجب»[١].

كـما تضاءلت إلى حد كبير فكرة حضور القيم الأخلاقية في السياسـة، وهـذا ما فسره (هانز مورغنثاو -Hans Morgenthau) بوضوح في بيانه الموجز عن مبادئ الواقعية في الفصل الأول من كتابه «السياسة بين الأمم Politics Among Nations». وتتلخص تلك المبادئ في الآتي:

١. تؤمن «الواقعيّة السياسـيّة» بأنَّ السياسـة مثل المجتمع بشـكلٍ عامٍ، تخضع لقوانين موضوعية تجد جذورها في الطبيعة البشرية.
٢. العلامة الرئيسية التي تساعد «الواقعيّة السياسيّة» على إيجاد طريقها في مشهد السياسة الدولية هي مفهوم المصلحة الخاصة بدافع القوة.
٣. تتغير القوة والمصلحة -من حيث محتواهما- عبر الزمان والمكان.
٤. تؤكد الواقعية أنَّ المبادئ الأخلاقية العالمية لا يمكن تطبيقها على سياسات الدول.
٥. الاختلاف بين «الواقعيّة السياسـيّة» والمدارس الفكرية الأخرى هو اختلاف حقيقي وعميق على المستوى الفكري، ويتمثل في استقلالية المجال السياسي[٢].

كـما يعتبر كتاب (كينيـث وولتـز - Kenneth Waltz) "نظرية السياسـة الدولية Theory of International Politics" (١٩٧٩) مركزيًّـا في الواقعية الجديدة المعاصرة، ومن أكثر الأعمال النظرية تأثيراً في الدراسـة الأكاديمية للعلاقات الدولية، واليوم، لا يزال مرجعًا أساسيًّا لكل من الواقعيين ومنتقديهم. يقدم (وولتز) مثالاً ممتازًا للواقعية الهيكلية القوية، إذ لا ينشأ النظام العالمي من قِبَل سـلطة أعلى (مثل مبدأ أخلاقي كوني أو مفاهيم كبرى أو غيره)، بل ينشـأ من تفاعلات الفاعلين السياسيين المتساوين رسميًّا عبر العصور من بنية مستمرة من الفوضى الدولية. ويرى أنَّ في بيئات الفوضى يجب أن تعتمدَ كل دولة في النهاية على مواردها الخاصة لتحقيق مصالحها[٣].

وهذا ما أكـد عليه (جون ميرشـيمر - John Mearsheimer) أيضا في كتابه ٢٠٠١ «مأسـاة

1 - Alissa Nelson: «Dialogue of Civilizations Research Institute.», p2.
2 - Jack Donnelly: Realism and International Relations, p16.
3 - Jack Donnelly: Realism and International Relations, p17.

سياسات القوى العظمى The Tragedy of Great Power Politics»، حيث ذهب إلى أنَّ الدول تواجه بيئة دولية غير مستقرة قد تستخدم فيها أي دولة قوتها لإلحاق الضرر بأخرى. في مثل هذه الظروف، تكون القدرات النسبية في غاية الأهمية، ويتطلب إقرار الأمن اكتساب أكبر قدر ممكن مـن القوة مقارنة بالـدول الأخرى، وأن أقصى ما يمكن أن تأمل فيـه الدولة هو أن تكون مهيمنة إقليميًّا، وقد أسس نظريته السياسية تلك على خمسة افتراضات: النظام الدولي فوضوي؛ القوى العظمى تمتلك بطبيعتها بعض القدرات العسـكرية الهجوميـة، وبالتالي يمكنها إلحاق الضرر ببعضها البعض؛ لا يمكن للدول أن تتأكد من نيات الدول الأخرى؛ البقاء هو الهدف الأسـاسي للقوى العظمى؛ والقوى العظمى أو الدول العظمى جهات فاعلة عقلانية. وبالتالي تسعى الدول بشكل عقلاني إلى النفوذ والسيطرة[1].

وفي كتابه «السـلام والحرب Peace and War» ١٩٦٦، يطـرح (ريمون آرون - Raymond Aron) (١٩٠٥ - ١٩٨٣)، وهو أحد منظري «الواقعيّة السياسـيّة» المعاصرة: «أنَّ شرعية العنف من أجل تحقيق أهداف الدولة كانت مشـتركة بين الدول، ولا يمكـن احتكارها كما كان الحال ضمن حدود الدولة الإقليمية، فالعلاقات الدولية علاقاتٌ بين وحدات سياسية، كل واحدة منها تدعي الحق في أخذ العدالة بيدها، وهي الوحيدة المتحكمة في اتخاذ قرار الحرب أو عدمه».[2]

وبذلك اعتبر منظرو «الواقعيّة السياسيّة» المحدَثَة أنَّ مفهوم القوة يؤدي دورًا هامًّا في العلاقات الدولية وفي الحفاظ على هيبة الدولة، وهو ما سبق أن ذهب إليه (مورغنثاو - Morgenthau) الذي حاجَّ بأنَّ السياسة الدولية ما هي إلا صراعٌ من أجل السلطة. وقد ذهب شطرٌ كبيرٌ من الدراسات الحديثة في العلاقات الدولية، وخاصة في الأكاديميا الغربية، إلى رسم تصور تبريري لمنطق القوة انطلاقًا من فكرة أنَّ الحياد وخلق أسـس معيارية سياسية ثابتة نزوحٌ باتجاه مفاهيم مثالية مجردة مثـل مفهوم "الأخـلاق". وأتى (جوناثان ليدر ماينـارد - Jonathan Leader Maynard) بطرحٍ عكس المرجوّ من تلك الفكرة، حيث يوضح وجود بعض «الظروف العامة الأساسية للسياسة»،

1 - John J. Mearsheimer: «The false promise of international institutions.» In International organization, pp. 237-282.

2 - Martin Griffiths; Steven C. Roach, and M. Scott Solomon: "Fifty Key Thinkers In International Relations Second Edition", p60.

مثل الاختلاف، والسلطة، والقسر المشروع؛ وبما أنَّ هذه الظروف تُعدُّ جزءًا من السياسة، فلابد أن تأخذ القيم السياسية هذه الظروف باعتبارها سمات ثابتة للمجال السياسي لكي تكون القيمة ذات طابع سياسي ولا ترتد إلى مفاهيم مثالية ميتافيزيقية كما أسلفنا[1]. يقدم هذا التصور «الواقعيّة السياسـيّة» باعتبارها نشاطًا إنسانيًّا يتسم بالسيرورة، أيٍّ يحمل سِماتٍ ثابتةً أو مجردةً. يأخذ هذا الطـرح منحنى أكثر حدة عندما يُقِّر بأنَّ درجة وشـكل الاختلاف وشـكله، والسـلطة، أو القسر المشروع «المطلوبين» في المجال السياسي غير محددين بدرجة عالية.

حاولـت تلك النظرية إذن الانتقـال من التصورات المجردة كالأخلاق والقيم الإنسـانية إلى دلالات معيارية متغيرة لا يمكن تعيينها تمامًا مثل القوة والصراع والقسر والعنف باعتبارها وسائل مشروعة للهيمنة والسلطة.

٣ - مُنطَلَقَاتُ «الوَاقِعِيَّة السّيَاسِيَّة»

أ - المُنطَلَقُ الدّينِيُّ

تُعتبر العقيدة البروتسـتانتية من إحدى ركائز ومحددات الفكر الواقعيِّ في المجال السياسي، إذ رسـخت مفهوم المصلحة الماديّة وأسهمت في جعلها الغاية الأسمى. ووفقها يتجلى التديُّن القويم عبر تحقيق النجاح الدنيوي، كما أنَّ الحياة الأُخرويَّة امتدادٌ للحاضر، ولذا، ترتبط مسألة الإيمـان بالعمل. لا يُثَّمن الإيمان مالم يصحبه النجاح في الأعمال الدنيويّة. وبالتالي رَسـخَّت البروتسـتانتية في الوعـي والثقافة الغربية، وعلى الأخص الأمريكيـة، كلَّ ما يتعلق بقيم النجاح المادي المقترن بالمنظومة الرأسـمالية القائمة على تحقيق الربح وتعظيم شؤون القوة للوصول إلى النجاح والريادة على المستوى الشخصيِّ، وعلى الصعيد الدولي والسياسي.

ب - المُنطَلَقُ الفَلسَفِيُّ

كان لظهـور الفلسـفة البراجماتية أو النفعيّـة دورٌ مهمٌ، القائمة على تحقيـق المنفعة والمصلحة؛ والتي تستند على الواقعيَّة في نزعتها العمليَّة وتعظيمها للمصلحة الماديَّة؛ في تدعيم عناصر «الواقعيّة السياسيّة» بحُجج وبراهين ومبادئ، إذ تعتبر «البراجماتية الأمريكية» امتدادًا لـ«الليبرالية الإنجليزيّة»،

1 - Jonathan Leader Maynard: «Political realism as methods not metaethics.» Ethical Theory and Moral Practice 25, no. 3, p445.

والتي استقرّت منذ أواخر القرن الثامن عشر، وأخذت تنمو في المُدن والمراكز التجاريّة والصناعيّة الإنجليزيّة، حيث تطوّرت لدى عدد من الفلاسفة، مثل (جون لوك - John Locke)، و(ديفيد هيوم - David Hume) إلى فلسفة واقعية ماديّة، وذلك خلافًا للفلسفات القاريّة، الفرنسيّة والألمانية خاصّة، التي وُصفت بالمثاليّة والرومانسيّة. ومن ثمَّ فإنَّ «الواقعيّة السياسيّة» المعاصرة تمتد بجذورها التاريخية إلي قلب المشروع الليبرالي الأوربي. كما دَعَّمت الداروينيّة الاجتماعيّة مفاهيم الصراع والتنافس والقوة في الثقافة السياسيّة الغربية والأمريكية. وتعدّ نظرية التطور البيولوجي، وما تقرره من مفاهيم النشوء والارتقاء والبقاء للأصلح؛ الإطار المرجعي للفلسفة الأمريكيّة، ولا سيّما البراجماتيّة[1].

ج - المُنطَلَقُ السّيَاسِيُّ

يتشكك أنصار «الواقعيّة السياسيّة» حيال وجود مبادئ أخلاقية عالمية، ولذلك ينتهجون المسار النفعي لمصلحة الذات ودحض فكرة التضحية بمصالحهم الذاتية من أجل الالتزام بمفهوم غامض لـ «السلوك الأخلاقي». ووفقا لهم أيضا تُعد الدولة الفاعل الرئيسي في السياسة الدولية والسيادة هي السمة التي تميزها. كما أنَّ الحاجة للبقاء تتطلب من قادة الدول الابتعاد عن المفاهيم التقليدية للأخلاق. فكما وضح (مكيافيللي) بأنَّ هذه المبادئ تضر بالدولة، ومن الضروري أن يتعلم قادة الدول نوعًا مختلفًا من الأخلاق، الذي يتوافق مع الضرورة السياسية، وليس مع الفضائل المسيحية التقليدية التي وصفها (نيتشه) بأنها «أخلاق عبيد». لذلك، تَعتبر النظرية أنَّ قوة الدولة وسيطرتها بأي وسيلة ممكنة شرطٌ ضروري لتحقيق النفع لمواطني هذه الدولة. ويؤيد الواقعيون السياسيون في هذا الصدد أنَّ سلطة الردع هي دائمًا الخيار الأفضل، ومن ثمَّ، فالحرب دائمًا ممكنة لأن لا شيء أخلاقي يمكن أن يمنع الدولة من استخدام القوة ضد دول أخرى، لأنَّ المصلحة هي التي تقود مسار السياسة الدولية.

إن «الحق في البقاء Survival»، مهما كانت التجاوزات في حق الآخرين، هو الأصل الداروينى المؤسِّس والمفسِّر في الآن نفسه لممارسات الإمبريالية العالمية ضد شعوب العالم. ولأجل هذا الحق الذي يبدو في تجلياته المباشرة نهجًا بربريًّا بامتياز يمارس فعاليته عبر وسائل كثيرة جدًا بدءًا من السلاح وحتى ميكروفون الإعلام وهذا ما سنتناوله في المحور الثاني.

---

١ - هبة العكيلي: تأثير النظريّة الواقعيّة في السياسة الخارجيّة الأمريكيّة، (دراسة حالة) السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الأزمة السوريّة. رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب- جامعة الشرق الأوسط، ص.ص. ٣٣-٣٨.

ثانيًا: «الإطَارُ التَّطبيقي»: التَّوظيفُ الإعلَامِي لِمَعرَكَةِ طُوفَانِ الأَقصَى.. نمَاذِجٌ مُختَارَةٌ.

١ - الدَّورُ الوَظِيفِيُّ لِلإعلَام الزَّائِف

برز الإعلام بوصفه جهةً فاعلةً عالمية في العلاقات الدولية مُنذ الحرب العالمية الثانية، ودوره المركزي في توجيه الجماهير والتأثير على الشعوب. وقد أسفرت الابتكارات في تكنولوجيا الاتصال، منذ الثمانينيات بعد الحرب الباردة، عن ظهور الأقمار الصناعية وقنوات التلفزيون المدفوعة التي أَدخلت العالم إلى قلب الأحداث حتى وإن كانت بعيدةً، وخاصةً مع البثّ المباشر ووسائل التواصل الاجتماعي وما تتضمنه من آليات حشد وتعبئة. وما يؤكد على ذلك أنَّ العديدَ من المسؤولين الكبار أقروا بتأثير التغطية التلفزيونية على صنع السياسات. على سبيل المثال، كتب وزير الخارجية الأمريكي الأسبق (جيمس بيكر الثالث - James Addison Baker III) في مذكراته (١٩٩٥): «في العراق والبوسنة والصومال ورواندا والشيشان، من بين دول أخرى، أدت التغطية الفورية للصراع من قِبل وسائل الإعلام الإلكترونية إلى خلق دافع جديد قوي للعمل السريع لم يكن موجودًا في الأوقات الأقل اضطرابًا». كما أشار وزيرا الخارجية البريطانيان السابقان، (دوغلاس هيرد - Douglas Hurd)، و(ديفيد أوين - David Owen)، إلى ملاحظات مماثلة. وفي تعليقه على دور «إذاعة CNN»، ذكر الأمين العام السابق للأمم المتحدة (بطرس بطرس غالي): «إنَّها العضو السادس عشر في مجلس الأمن». ووصفها (كولن باول - Colin Powell)[1]، فقال: إن «تغطيتها التلفزيونية المباشرة لا تغير السياسة، لكنها تخلق البيئة التي تُصنع فيها السياسة». كما اعترف (أنتوني ليك - Anthony Lake)، الأكاديمي والمستشار الأمني الأول لـ(بيل كلينتون - Bill Clinton)، بأنَّ الضغط العام، الذي تحفزه صور الإعلام، أصبح يؤدي دورًا تتزايد أهميته من جهة اتخاذ القرارات بشأن الأزمات الإنسانية، لكنه أضاف عوامل أخرى مثل التكلفة والإمكانية تتحلى بنفس القدر من الأهمية[2]. وبالاستناد إلى ما سبق، تفترض الدراسة أنَّ الأداء الإعلام العربي والعالمي، مُمَثَّلَا في الخطاب والممارسة، يتحدد توجههما ليعكس نطاق الآراء الموجودة داخل الفاعلين الرئيسيين على الساحة الدولية.

---

١ - (كولن بأول) هو وزيرَ الخارجية الأمريكيَ الخامسُ والستين، في عهد (جورج دبليو بوش) من عام ٢٠٠١ إلى عام ٢٠٠٥، وهو أول أمريكي أفريقي يشغل هذا المنصب.

2 - Eytan Gilboa: «The CNN effect: The search for a communication theory of international relations.» Political communication 22, no. 1, p28.

٢ - مُستَوَيَاتُ مُمَارَسَة «الوَاقِعيَّة السّيَاسيَّة»

لم يكن من قبيل المُصادفة أن نجد مبادئ «الواقعيّة السياسيّة» تؤطر الخطاب الإعلامي العربي أثناء معركة طوفان الأقصى، بل سبق هذا التأطيرَ الإعلامي تمهيدٌ من مستوياتٍ ثلاثة، وصولاً إلى القاعدة العريضة من الجمهور العربي، وهي:

أ - المُستَوَى الأَكَادِيميُّ

تَضمَّن هذا المستوى «الواقعيّة السياسيّة» الغربية باعتبارها جزءًا من دراسات ومناهج الأكاديميا ومراكز الأبحاث، والمؤتمرات، والسيمينارات، وكذلك الممارسة السياسية بالمعنى العام، في مقابل إغفالٍ "مُتعمَّدٍ"، لدراسة القضية الفلسطينية بوصفها قضية احتلال، خاصةً في دراسات ما بعد الكولونيالية.

وفي الشرق الأوسط، مُهد لهذا المسار سياسيًّا من خلال اتفاقيات السلام، فابتدأ تكوين التحالفات والاتفاقات بعد التحولات الكونية في فترة ما بعد الحرب الباردة. ويتمثل أبرز تطبيق للنظرية «الواقعيّة السياسيّة» في اتفاقيات السلام بين البلدان العربية والجانب «الإسرائيلي» مثل: «(اتفاقية كامب ديفيد) ١٩٧٨، وملاحق (معاهدة السلام المصرية-«الإسرائيلية») ١٩٧٩، و(عملية السلام في الشرق الأوسط) ١٩٩١، و(إعلان المبادئ الفلسطيني-«الإسرائيلي») (أوسلو) ١٩٩٤، و'معاهدة وادي عربة' ١٩٩٤، و(إعلان شرم الشيخ لصناع السلام) ١٩٩٦»، حيث ينظر «الواقعيون» إلى تلك الاتفاقيات على أنها نابعة من مصالح قومية للدول، لم تتولد عن ضغط وتحالفات قوى عالمية، بقدر التعبير عنها من خلال مبادرات سلام.

ب - الأَكَادِيميَا وَمَرَاكِزُ الأَبحَاث

قدمت الأكاديميا ومراكز الأبحاث -العربية منها والغربية- دعمًا مناسبًا لتوقيع اتفاقيات سلام بين أطراف عربيةٍ و«إسرائيل»، ولكنها شجعت في الوقت نفسه، بعض المثقفين العرب للمضي قُدُمًا نحو التطبيع الثقافي. ولعل «مبادرة كوبنهاجن» ١٩٩٧ كانت أبرز صور هذا النوع من التطبيع، حيث استهدفت تعزيز السلام والتعاون في الشرق الأوسط بعد «اتفاقية أوسلو». وقد شملت عدة جوانب مهمة منها: تعزيز التفاهم والتعاون بين الدول العربية و«اسرائيل» بهدف الوصول إلى سلام شامل، وتحقيق التعاون الاقتصادي، والعمل على تحقيق الاستقرار في المنطقة من خلال تعزيز التعاون الأمني والسياسي، بجانب تسوية النزاعات، وتشجيع التبادل

الثقافي والتفاعل بين الشعوب لتقليل التوتر وتعزيز "الفهم المتبادل"[1].

وعلى الرغم من أنَّ «مبادرة كوبنهاجن» لم تحقق كل الأهداف المرجوة، إلا أنَّها وضعت أُسسًا خطيرة للمفاوضات الثقافية المستقبلية، وأدت إلى تطوير «اتفاقية باريس» في عام ٢٠١٥، وهنا برز المثقفون باعتبارهم متطوعين مدافعين عن الكيان الصهيوني وحقه في الوجود بوصفه «أمرًا واقعًا».

ج - وَسَائِلُ الإِعلَام

يكتمل الضلع الثالث لمثلث (السياسة- الثقافة- الإعلام) بالدور شديد التأثير الذي يُمارسه جزء ليس بقليل من الإعلام العربي والغربي للترسيخ لفكر «الواقعيّة السياسيّة» بمفهومها المعاصر. حيث عُرض هذا الاتجاه عربيًا على نحوٍ موسع في النشرات والبرامج الحوارية والمادة الإعلامية بصفةٍ عامة. وبدأت القنوات الإعلامية العربية في إبراز هذا الخطاب منذ تطبيق «اتفاقية كامب ديفيد» و«معاهدة وادي عربة»، و«اتفاقية أوسلو»، بهدف تحييد المسار الثوري النضالي، واستبداله بمسار السلام مع المحتل كـ«أمر واقع».

سنجد على سبيل المثال، أنَّ البرامج الإخبارية تُقدم تحليلاتٍ قد تكون متأثرة بالفكر الصهيوني، مثل الاعتراف بالحقوق «الإسرائيلية» على حساب حقوق الفلسطينيين. كما تستخدم بعض وسائل الإعلام العربية لغةً أو رموزًا يمكن فهمها على أنَّها تتماشى مع الخطاب الصهيوني، مثل التركيز على السلام والتعايش دون التطرق إلى القضايا الجوهرية، مثل الاحتلال أو حقوق اللاجئين. بجانب تبني بعض وسائل الإعلام العربية مواقف أو تحليلات تشبه تلك التي تتبناها بعض الجهات الغربية التي تُعتبر متعاطفة مع الكيان «الإسرائيلي»، مما يعكس هيمنة خطاب «الواقعيّة السياسيّة»، وتأثيره على كيفية تناول القضايا في الساحة الإعلامية العربية.

---

١ - كان من أبرز المثقفين العرب المشاركين: (لطفي الخولي)، (حسن الحيوان)، (عبد المنعم سعيد)، (علي الشلقاني)، (رمسيس مرزوق)، (مراد وهبة)، (عدنان أبو عودة)، (إحسان شردم)، (مروان دودين)، (تيسير أبو جابر)، (زياد صلاح)، (جورج حواتمة)، (محمد جاد الله)، (جميل حمامي)، (زهيرة كمال)، (جواد الطيبي)، (محمد أبو خضير)، (رياض المالكي)، ... وآخرون. ومن الجانب «الإسرائيلي»: (مكسيم ليفي)، (يهودا لنكري)، (دافيد كمحي)، (مئير شطريت)، (ياعيل دايان)، (شلومو بن عامي)، (ناديا حلو)، (أوري بيرنشتاين)، (عاموس إيلون) ... وغيرهم.

٣ - الوَاقِعيَّةُ السّيَاسِيَّة.. «نمَاذِجٌ مُختَارَةٌ في الإعلَام العَرَبيّ وَالغَربيّ»

بينما تؤدي العلاقات الدولية السياسية، والتحركات الدبلوماسية، والمفكرون، والمثقفون، والأكاديميون دورًا مركزيًّا في التشريع والتأصيل لنظرية «الواقعيَّة السياسيَّة»؛ فإنَّ الإعلام هو الأداة التي بموجبها يتم تنفيذ تلك المهام عبر تهيئة الرأي العام لاستقبال مبادئ وقيم تلك النظرية وتهيئته للتفاعل معها. لذلك، نلقي الضوء على أبرز نقاط هذا الدور على مستوى النشرات الإخبارية، والتغطيات المباشرة، والتقارير الإخبارية المصورة، ونوعية الضيوف، في عينةٍ عشوائيةٍ من أربع محطات إخبارية تم اختيارها وفقًا لمعيارٍ يستند إلى كونها الأكثر انتشارًا وجذبًا للاهتمام فيما يتعلق بشأن الحرب على غزة من خارج محور المقاومة.

أ - فِئَةُ نَشَرَاتِ الأَخبَار

حددت الدراسة مصطلحاتٍ ثلاثة: «دولة 'إسرائيل'/ الكيان المحتل/ الكيان الصهيوني» لوصف الجانب «الإسرائيلي» وذلك بالكشف عن المصطلحات من خلال البحث في أرشيف مواقع المحطات عينة الدراسة:

الفئة	الجزيرة	العربية	MTV اللبنانية	MBC الإخبارية
نشرات الأخبار	المصطلح المستخدم لوصف دولة الاحتلال: "إسرائيل"/ الكيان المتحل/ المحتل الصهيوني.	المصطلح المستخدم لوصف دولة الاحتلال: "إسرائيل" أو دولة "إسرائيل".	المصطلح المستخدم لوصف دولة الاحتلال: "إسرائيل" أو دولة "إسرائيل".	المصطلح المستخدم لوصف دولة الاحتلال: "إسرائيل"

نستنتج مما ورد في الجدول السابق أنَّ الجزيرة تنوعت في استخدام أكثر من مصطلح لوصف دولة الاحتلال، وهو ما يعكس توازن التغطية. أمَّا العربية و MTV اللبنانية وMBC الإخبارية استخدموا مصطلح "إسرائيل" في تغطياتهم الإعلامية. يُقِّر هذا التأطير على تركيز الواقعية على تعديل تصوّر الجمهور حول مصطلح "الكيان" إلى الإقرار بالأمر من خلال استخدام اللغة وإنتاج

قــوة «معيارية» من هذا التلاعب الدلالي في الســياق الإخباري. مما يوضــح كيفية تأثير مبادئ «الواقعيّة السياسيّة» على تشكيل أفكارنا السياسية حول الكيان باعتباره «دولة».

يُوظّف هذا الطرح لتقبل مبدأ أنَّ الدولة هي الفاعل الرئيسي، والبيئة التي تســكنها الدول هي بيئة خطرة. وبما أنَّ اســتخدام القوة الذي يصل إلى الحرب هو أداة مشروعة من أدوات السياسة الدولية، يجب على قادة الدول أن يتصرفوا في مجال السياسة الدولية بحساب الإجراءات الأكثر مناسَبَة التي ينبغي اتخاذها لاستمرار حياة هذه الدولة في بيئة عدائية وتهديدية.

يتفق هذا الاستنتاج مع ما طرحه (فريدريش ميناكي - Friedrich Meinecke)، في مبدأ "بقاء الدولة Reason of State" الذي يُقِرُّ بأنَّ رجل الدّولة عليه السَّعي خلف القوّة للحفاظ على صحة وقوة الدولة، بل وينبغي عليه اتخاذ إجراءاتٍ لاستمرار حياة الدولة في بيئة عدائية وتهديديّة.

ب - فِئَةُ التَّغطِيَةِ المُبَاشِرَةِ

حددت الدراسة مجزرة خان يونس (مواصي)[1] لقياس كيفية تغطية كل محطة بشكل مباشر Live للمجزرة كالتالي:

الفئة	الجزيرة	العربية	MTV اللبنانية	MBC الإخبارية
نشرات الأخبار	نُقلت المجزرة بالتغطية المباشرة. لم يُذكر أعداد القتلى والجرحى على نحو دقيق.	نُقلت المجزرة بالتغطية المباشرة، ولم يُذكر عدد الشهداء أو الجرحى، وتم خلال البث إبراز الرواية "الإسرائيلية" بأنَّ هدف المجزرة استهداف محمد الضيف، كما استُضيفَ مسؤولون من "تل أبيب".	بالرجوع إلى أرشيف القناة لم يُذكر أي خبر عن مجزرة خان يونس.	لم تنقل المحطة الحدث بشكل مباشر.

١ - مجزرة مواصي خان يونس ١٣ يوليو ٢٠٢٤ استهدف «الكيان المحتل» جزءًا من المبنى تحت مبرر وجود (الضيف)، ودمرت المبنى بأكمله ومنعت وصول أي فرق نجدة، حيث قامت الطائرات المسيرة بإطلاق الرصاص والصواريخ على كل من اقترب أو خرج من المكان وألقت ٨ قنابل من طراز JDAM المتطورة الفتاكة أمريكية الصنع الموجهة بالليزر.

نستنتج مما ورد أنَّ «الجزيرة» و«العربية» أبرزتا أهمية الحدث في صورة نقله على الهواء مباشرة دون تحديد دقيق لأعداد الضحايا. ونقلت «العربية» الخبر من منظور الجانب الصهيوني. ولم تتعامل «MTV اللبنانية» أو «MBC الإخبارية» مع الحدث بتغطية مباشرة، مما يدل على مؤشر ترتيب أهمية الخبر بما يتوافق مع سياسة كل محطة. هذا التأطير الإعلامي من خلال التغطية المباشرة أو اللاحقة يعكس درجة أهمية الحدث.

يرتبط هذا التقديم والتأخير في توقيت تغطية المجزرة بالمبادئ الأساسية لتطبيق نظرية «الواقعيّة السياسيّة»؛ إذ يعكس سياسات كل محطة، ومعيار الأهميَّة المُحدِّد لكل حدث. وهو ما يُرسّخ فكرةَ أنَّ السياسة صراعٌ مستمرٌ من أجلِ القوة، حتى على الشاشات. وما يظهر على الشاشة يعكس حالة السياسة الدولية وحالة الحرب، حيث لا خيار أمام الفاعلين السياسيين سوى الاهتمام بأمنهم الخاص، وتطبيق فلسفة "بلدي أولاً"؛ وإبراز الأحداث بحسب أولوية جدول أعمال كل محطة تحت دعوى ما يسمى "المصلحة الوطنية"، وتمرير فكرة أنَّ حالة الحرب والصراع تقتضي منهم اتخاذ التدابير المناسبة تحقيقًا لمصلحتهم الذاتية.

ج - فِئَةُ التَّقَارِيرِ الإِخبَارِيَّة

حددت الدراسة التقارير التي غطت حادثة «القرض الحسن»[1] في البقاع:

الفئة	الجزيرة	العربية	MTV اللبنانية	MBC الإخبارية
نشرات الأخبار	ذُكرت الحادثة في تقرير مصور، بُثَّ بتاريخ ٢٣ أكتوبر ٢٠٢٤ وأبان الدمار الذي خلفه الاستهداف من خلال مراسلة المحطة في موقع الاستهداف.	ذُكرت الحادثة في تقرير مصور، بُثَّ بتاريخ ٣٠ سبتمبر ٢٠٢٤. ذكر التقرير ظهور كميات كبيرة من الذهب تحت أنقاض المؤسسة.	ذكر التقرير أن الجمعية تعمل بشكل مباشر لدعم حزب الله اقتصاديًا، وأنَّ المقر يأوي عددًا من أعضائه، وذلك قبل يومين من الاستهداف الصهيوني لمقر الجمعية.	لم تبث المحطة أي تقرير عن الحدث.

١ - ٢٠ أكتوبر ٢٠٢٤: استهداف الكيان الصهيوني لـ «مؤسسة القرض الحسن».

نستنتج مما ورد في الجدول أنَّ تقرير «الجزيرة» جاء متأخرًا زمنيًا عن توقيت حدوث الهجوم. وذكر تقرير «العربية» معلومات بشأن ظهور كميات كبيرة من الذهب، ولم يبرهن التقرير بالأدلة عن تلك المعلومات. بينما ادَّعى تقرير خاص «MTV اللبنانية» قبل الهجوم عن معلومات بوجود أعضاء من حزب الله داخل المؤسسة المستهدفة مما أثار جدلاً واسعًا حول التقرير بعد الاستهداف. ولم تُغطِّ «MBC الإخبارية» الحدث بأي تقارير.

بالتالي، هناك عدم مراعاة للمصداقية في التقارير الإخبارية بذكر بيانات أو أدلة واضحة بشأن الحادث، وهي معالجة قوامها مبدأ القوة والمصلحة الذاتية فقط، دون أيّ اعتبار للمبادئ المهنية الإعلامية. فالحقائق لا تتحدث عن نفسها، بل لا بد من وسيط إعلامي للكشف عنها وإبرازها، مما يكشف عن أنَّ تأثير مثل هذه المعالجات الإعلامية يتجاوز الحدود الوطنية، ويبدد المصداقية الإعلامية بشكل عام، ويتسبب في إنتاج أشكال جديدة من معايير «الواقعيّة السياسيّة» تُمكن «الكيان» من حيازة الهيمنة الإقليمية.

د - فِئَةُ نَوعِيَّة الضُّيُوفِ

ركزت الدراسة على الضيوف الرائجين من خلال تداول تصريحاتهم على محرك البحث الخاص بكل موقع، الذين يمكن إدراجهم في ثلاثِ فئات: السياسيون أصحاب السلطة، والكُتاب والمحللون السياسيون، والخبراء والمحللونَ العسكريون «الإسرائيليون».

نوعية الضيوف	الجزيرة	العربية	MTV اللبنانية	MBC الإخبارية
سياسيون من أصحاب السلطة	محمود عباس أحمد أبو الغيط أحمد مجدلاني	محمود عباس أحمد أبو الغيط أحمد مجدلاني	أحمد أبو الغيط أحمد مجدلاني	محمود عباس أحمد أبو الغيط أحمد مجدلاني
كُتَّابٌ ومحللون سياسيون	محمد علي الحسيني تركي الحمد	محمد علي الحسيني تركي الحمد	محمد علي الحسيني تركي الحمد	محمد علي الحسيني تركي الحمد

نوعية الضيوف	الجزيرة	العربية	MTV اللبنانية	MBC الإخبارية
خبراء عسكريون ومحللون سياسيون "إسرائيليون"	أفيخاي أدرعي إيدي كوهين عاموس يادلين	أفيخاي أدرعي إيدي كوهين عاموس يادلين	أفيخاي أدرعي إيدي كوهين عاموس يادلين	أفيخاي أدرعي إيدي كوهين عاموس يادلين

ومما سبق نَخلُص إلى الآتي:

- السياسيون أصحاب السلطة: تنشر محطات الجزيرة والعربية تصريحات (محمود عباس)[1] بانتظام، وتقل لقاءاته على «MBC الإخبارية»، و «MTV اللبنانية». ويلزم الانتباه إلى أنَّ طرحه يرتكز على «منظور واقعي» من خلال الإشارة إلى أهمية المفاوضات بوصفها سبيلاً لتحقيق السلام. ويدعو إلى ضرورة إنهاء التصعيد والعودة إلى طاولة المفاوضات، بجانب استئناف العلاقات مع «إسرائيل» وهو سعيٌ يتضافر مع رؤيته المتفائلة بشأن السلام. كما تظهر تصريحات (أحمد أبو الغيط)[2]على «الجزيرة والعربية» بشكل متقطع وتقل لقاءاته على «MBC الإخبارية» و«MTV اللبنانية». يرتكز طرحه إلى ضرورة الالتزام بالحلول السياسية والتخلي عن العنف. وتظهر آراء (أحمد المجدلاني)[3] على «الجزيرة والعربية» بشكل متقطع، ولم تُجرِ «MBC الإخبارية» و«MTV اللبنانية» أي مقابلات معه خلال «طوفان الأقصى». يرتكز طرحه على «المنظور الواقعي»، في توجيه الدعوة لحماس لتبني نهجٍ سلمي بدلاً من نهجها العسكري.
- كُتَّاب ومحللون سياسيون: تظهر تصريحات ولقاءات (محمد علي الحسيني)[4] بانتظام

١ - رئيس السلطة الفلسطينية.
٢ - الأمين العام لجامعة الدول العربية.
٣ - الأمين العام لجبهة النضال الشعبي الفلسطيني وعضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية.
٤ - معمم لبناني يحمل الجنسية السعودية، مدان بتهمة العمالة للكيان الصهيوني وتم سجنه لأربعة أعوام بحكم المحكمة العسكرية اللبنانية، وهو ضيف دائم على القنوات الخليجية يسمي نفسه أمينًا عامًا لكيان وهمي يسميه "المجلس الإسلامي العربي في لبنان».

على «قناة العربيــة»، وحضوره قليل على باقي القنــوات. يرتكز طرحه على «المنظور الواقعي» بشكل عام، موجهًا الإدانة إلى حركة حماس على الدوام، ويحملها مسؤولية «تدمير غــزة»، ويصف «طوفان الأقــصى» بأنها معركة غير مدروســة، ويهاجم حزب الله ويحملهم مســؤولية العدوان «الإسرائيلي» عــلى الأراضي اللبنانية. ويظهر (تركي الحمد)[١] على «MBC الإخبارية» و«العربية» بشــكل متكرر، على العكس من ظهوره على «الجزيرة» و«MTV اللبنانيــة». يرتكز طرحه على «المنظور الواقعي» حيث يرى «إسرائيل» واقعًا حقيقيًّا على الأرض. وأنَّ القوة الأمريكية لا تُضاهَى من حيث القدرات العسكرية. وتتمتع الأخيرة بالهيمنة على المجالات العامة، مثل الثقافة والنخبة.

- خبراء عسكريون ومحللون سياسيون «إسرائيليون»: يظهر (أفيخاي أدرعي - Avichay Adraee)[٢] على قناتيِّ «الجزيرة» و«العربية» بشكلٍ متكررٍ، وظهوره قليل على «MBC الإخبارية» و«MTV اللبنانية». يرتكز طرحه على «المنظور الواقعي»، بالاستناد على مبدأ البقاء، إذ يُقرّ بحق «إسرائيل» في الدفاع عن وجودها، ويقدم تبريرات حول سعيها إلى القوة اللازمة لضمان بقائها. يظهر (إيدي كوهين - Edy Cohen)[٣] على «الجزيرة» و«العربية» و«MBC الإخبارية» بشكل متقطع، وظهوره قليل على «MTV اللبنانية». يرتكز طرحه عــلى «منظور واقعي» يتمثل في مهاجمة المشــتبه بهم في تهديد وجود الدولــة «الإسرائيلية». ويظهر (عاموس يادلــين - Amos Yadlin)[٤] على المحطات العربية بشكل متقطع بوجه عام، وجدير بالذكر ارتكاز طرحه على مبدأ مساعدة الذات، حيث يجب على الدول في النهاية الاعتماد على نفسها لتحقيق الأمن.

٤ - الوَاقِعِيَّةُ السِيَاسِيَّةُ فِي الخِطَابِ الإِعلَامِيّ الغَربِيّ

أدت «النظرية الواقعية» دورًا واضحًا في ترسيخ انحياز التغطية الإعلامية الغربية للحرب على

١ - محلل سياسي وأستاذ جامعي ومفكر سعودي. من رموز الفكر الليبراليِّ في السعودية.
٢ - المتحدث باسم الجيش «الإسرائيلي» للإعلام العربي.
٣ - أستاذ في جامعة "بار إيلان"، وباحث في مركز «بيغن-السادات للدراسات الاستراتيجية».
٤ - قائد استخباراتي سابق.

غزة كالسياسات الإعلامية المتبعة في الميل باتجاه السردية الصهيونيّة، بما يؤثر على إرشادات التحرير وتوجيه المراسلين وإعداد تقارير تفتقد إلى المهنية والعمق، وتتجاهل الأصول التاريخية والمسار النضالي للشعب الفلسطيني بما يؤدي إلى توجيه الرأي العام العالمي وبناء جدار عازل بين الوعي الحقيقي والمواطن الغربي. كما أسهم الإعلام الغربي في تشويه صورة الفلسطينيين، بما يعني شراكته فيما حدث لهم من مجازر نظرًا لأنَّه تبني المظلومية الصهيونيّة، وهذا ما فعلته بعض وكالات الأنباء الغربية، ومثال ذلك ما نقلته وسائل الإعلام الأوروبية عن قناة (٢٤ الإسرائيلية)» من وجود جثث أربعين رضيعًا برؤوس مقطوعة في إحدى مستوطنات غلاف غزة على أيدى عناصر من حماس، وقد ظلت هذه الأكذوبة تروج في الإعلام الغربي لفترة طويلة وخاصة بعدما كتبت «التايمز The Times» في صدر صفحتها الأولي: «حماس تذبح حناجر الرضع»، مما أكد على الانطباع السيء عن الفلسطينيين لدى المواطن الأوروبي بعد انتشار هذا الخبر في كل أرجاء المعمورة.

هذا بالإضافة إلى أنَّ الصحف الأمريكية كانت صاحبة التوجه نحو مقارنة أحداث طوفان الأقصى في ٧ أكتوبر بـ«أحداث ١١ سبتمبر»، وهو ما انعكس بالطبع عن تضخم حالة الوعي الزائف عند المواطن الأمريكي. كما تعمدت وكالة «أسوشيتد برس الأمريكية AP" بإخفاء تهديدات قادة الكيان الصهيوني بإبادة غزة من الوجود؛ وهو سلوك غير مهني بأي صورة من الصور. كما قامت شبكة «بي بي سي» بتعليق عمل الإعلامية اللبنانية (ندا عبد الصمد) بعد ٢٩ عامًا من العمل معها بسبب موقفها من القضية الفلسطينية. وفصلت صحيفة «الجارديان» رسام الكاريكاتير (ستييف بيل - Steve Bell) بعد عمله معها أربعين عامًا بسبب رسمة اعتُبرت مسيئة لرئيس الوزراء «الإسرائيلي»! ونتيجة ضغوط أمريكية و«إسرائيلية»، أوقفت صحيفة «إم اس إن بي سي» ثلاثة من أبرز مذيعيها منذ بدء العدوان علي غزة، وهم: (مهدي حسن) و(أيمن محيي الدين) و(علي فيلشي)، خوفًا من انحيازهم للشعب الفلسطيني.

كما يظهر التلاعب اللغوي في صياغة عناوين التقارير والتغطيات الصحفية في جريدة «نيويورك تايمز» أثناء تغطيتها لطوفان الأقصى باستخدام أسلوب المبني للمجهول، وعلى العكس منه نجد صياغة العناوين في تغطية الصراع الروسي- الأوكراني على شكل المبني للمعلوم، وذِكْر مصدر

الهجوم (روسيا) بكل وضوح. فنجد العناوين تُصاغ كالآتي:

في الصراع الـروسي- الأوكـراني: Russia Pounds Ukraine With 'One of the Largest Strikes' of the War في صياغة مبنية للمعلوم[1].

وفي الـصراع الفسـطيني- الإسرائيـلي: Explosion Gazans Say Was Airstrike Leaves Many Casualties in Dense Neighborhood نجـد أنَّ صياغة العنوان مبنية للمجهول لعدم إظهار الفاعل[2].

خَاتِمَةٌ

تقدم «الواقعيّة السياسـيّة» التفسير النفعي لحالة الحرب التي تعد الشرط المعتاد للحياة في النظام الدولي. وأدت منطلقاتها ومبادئها الأساسية دورًا في نهج الإعلام الغربي ومعه جزء كبير من الإعلام العربي. وهو نهج اختزال الصراع في ثنائية "إسرائيل» وحماس كما فعلت محطات عربية عدة مثل «الجزيرة» و«العربية» ومحطة «MTV" ومحطة «MBC الإخبارية». ومحطات غربية عدة منها «MSNBC» ،"CNN"، و«فوكس نيوز»، وكذلك صحف مثل «نيويورك تايمز» و«واشنطن بوسـت» و«لوس أنجلس تايمز». الذين انحازوا بالطبع للجانب «الإسرائيلي» في تحقيقاتهـم. بما يخالف بشـكل صريح المهنيـة الصحفية، والانحياز تجاه أنصـار «الواقعيّة السياسيّة».

تؤدي الاسـتضافة الإعلامية في المحطات العربية لشخصيات تتبنى الطرح الواقعي، وأقصد على الأخص العسكريين والمحللين "الإسرائيليين"، إلى توظيفها باعتبارها «رئةً» إضافيةً للكيان، وبوقًا متاحًا لتيارات الصهيونيّة، مما يسـمح لتلك التيارات بالتوغل في ذهنية الجمهور العربي. كما يساهم هذا الخطاب في تمرير رسائل التفوق والسيطرة وفارق القوة، بالإضافة إلى "شيطنة" المسار الثوري والتيار المقاوم بهدف إخماده والقضاء عليه.

بالاستناد إلى ما سـبق، يتكشَّف لنا أنَّ مشروع الاسـتيطان الصهيوني يضع المنظومة القيمية

1 - <https://www.nytimes.com/2024/08/26/world/europe/russia-ukraine-missiles-kyiv.html>

2 - <https://www.nytimes.com/2023/11/05/world/middleeast/gaza-explosion-al-maghazi-camp.html>

الإنســانية في حرج، لأنَّ أصحابَ الحضارة التي صنعت تلك المنظومة هم أنفســهم الداعمون لمشروع الاحتلال الصهيوني من أجل فرض كيان استيطاني يقوم على أسس دينية تُخالِف بشكل صريح المبادئ العلمانية التي أسسوها، وتُشــوِّه مفهوم الدولة الحديثة ومفهوم الأمة الحديث؛ تلك المفاهيم التي هي نتاج الحضارة التي تقف الآن مع من يشوِّه منتجها الإنساني.

لَائِحَةُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ

بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّة

- هبة العكيلي: تأثير النظريّة الواقعيّة في السياسة الخارجيّة الأمريكيّة، (دراسة حالة) السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الأزمة السـوريّة. رسالة ماجسـتير منشورة، كلية الآداب- جامعة الشرق الأوسط، ٢٠٢١م.
- علي زياد العلي: المرتكزات النظرية في السياسة الدولية، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٧م.

باللغات الأجنبية

- Baylis, John, Steve Smith, and Patricia Owens, eds. The globalization of world politics: An introduction to international relations. Oxford university press, USA, (2020).
- Garnett, John C. Commonsense and the theory of international politics. SUNY press, (1984).
- Donnelly, Jack. Realism and International Relations. Cambridge University Press, (2000).
- Gilboa, Eytan. "The CNN effect: The search for a communication theory of international relations." Political communication 22, no. 1 (2005): 27- 44.
- Griffiths, Martin, Steven C. Roach, and M. Scott Solomon. "Fifty Key Thinkers In International Relations Second Edition"." (2023).
- Langer, Christian. "The political realism of the Egyptian elite: a comparison between the Teaching for Merikare and Niccolò Machiavelli's Il Principe." Journal of Egyptian History 8, no. 1 (2015): 49- 79.
- Leader Maynard, Jonathan. "Political realism as methods notmetaethics."

Ethical Theory and Moral Practice 25, no. 3 (2022): 449463-.

- Mearsheimer, John J. "The false promise of international institutions." In International organization, pp. 237282-. Routledge, 2017.
- Nelson, Alissa. "Dialogue of Civilizations Research Institute." (2019).
- <https://www.nytimes.com/202426/08//world/europe/russia-ukraine-missiles-kyiv.html>
- <https://www.nytimes.com/202305/11//world/middleeast/gaza-explosion-al-maghazi-camp.html>